بالسيئة أم بالتي هي أسوء، كل ذلك رعاية لحرمة الحق وصداً عن بأسهم ضد الحق.

فالأصل في الجدال - على أية حال - أن تكون بالتي هي أحسن تقريباً للهدى وتوصيلاً إليها، وأما الذين ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] فعليهم ما يستحقونه من الجدال أو تركها حسب ما تقتضيه المصلحة في ميزان الحق.

وإنها لحقيقة ضخمة عظيمة رفيعة، حقيقة أن يتبناها كل مؤمن بالله، إن دعوة الله التي تحملها رسالات الله هي واحدة الانبعاث والاتجاه، والمؤمنون بكل رسالة حقة هم في الحق إخوة في دين الله، أمة واحدة تعبد إلهاً واحداً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾[2].

ثم ولا تحكم في زمن واحد لعامة المكلفين إلّا شرعة واحدة من الخمس للدين، فعلى كل المؤمنين بالله أن ينضموا إلى شرعة الحق الحاكمة في كل زمن، تاركين الخلافات المتخلفة عن الدين وعن شرعة الدين.

وقد يفترى على رسول الله ﷺ أنه جادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن في العهد المكي وهو في ضغط المطاردة من المشركين، ثم في العهد المدني - وقد قويت شوكته - أخذ يحاربهم تركاً للحسنى إلى السوأى!

وهذه فرية وقحة عليه يعالجها هذا النص حيث يأمره أن يجادلهم بالتي هي أحسن على أية حال، حال الضعف وحال القوة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ فلا، سواء في حال الضعف أم حال القوة، ضابطة صارمة ثابتة في كل

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.
(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٥١-٥٣.

الحالات والمجالات بإيجابيتها وسلبيتها، والأصل فيهما هو ضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور الدعوة، الموافقة لما قبلها، المكملة لها كلها كما أرادها الله.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الأسلوب الذي أنزلنا إلى من قبلك الكتاب ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ﴾ فالمصدر واحد والصادر وحي واحد مهما اختلفت شرعة من الدين عن شرعة في البعض من الطقوس الظاهرية، حلقات متصلة من الوحي، موصولة الهدى إلى الله، والله اعلم حيث يجعل رسالته.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ البعيدة المدى، الشاملة الهدى، الصادرة الردى ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ﴾ يا رسول الهدى، الكتاب الذي يحلّق وحيه على كل كتاب وزيادة، مشابهاً وحيه وحيها وزيادة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم بطبيعة الحال، ونتيجة الاطلاع على وحي الكتاب والبشارات المودعة فيه بحق هذا الكتاب ونبيّه ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾ حيث الملامح نفس الملامح والمسارح والمصارح نفس المسارح والمصارح، مهما تعنت عنه جماعة متعندة! وبإشراقة أقوى وإناقة أندى وأبدى، ثم ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين البعيدين عن وحي الكتاب ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ حيث الكتاب بنفسه برهان لا مرد له أنه من الله، مهما كانت الخبرة السابقة بوحي الكتاب تزيد برهاناً مشياً على برهانه الأصيل ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ كتاباً ورسولاً وحجة أخرى للرسالة غير الكتاب ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الذين عميت بصائرهم وأغلقت أبواب قلوبهم، فتجاهلوا عن آيات الله البينات التي هي كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار.

ومما يقرّب الفريقين إلى الإيمان به، شاهداً ممن أرسل به اضافة إلى آية الكتاب:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾:

هنا ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾ تستأصل كل كتاب سماوي أو أرضي ﴿وَمَا كُنتَ﴾ تستأصل كيانه كرسول القرآن ان يتلو من قبله من كتاب، لا أنه ما تلاه وهو قادر على تلاوته تقية مصلحية الحفاظ على وحي القرآن، فإن ﴿وَمَا كُنتَ﴾ تحيل عليه كل تلاوة وكتابة لأي كتاب قبل القرآن إحالة تكوينية وتشريعية، فلم يكن يستطيع أية تلاوة قبله، ولا كانت مسموحة له لو استطاعها.

ثم و﴿تَتْلُوا۟﴾ تنفي كل ائتمام بأي كتاب قبل القرآن، قراءة وإقراء وتعلّماً وتفهّماً، وعلى الجملة سلبية التلاوة له مطلقة محلّقة على كل تلاوة قالبية أو قلبية، والأولى تعم تلاوة السمع والبصر واللسان، وتلاوته بيمنه وهي الكتابة، وقد أفردت بالذكر بعد التعميم لأنها من المصاديق الخفية للتلاوة.

والثانية تعم التلاوة العقلية والقلبية، ومن ثم التلاوة التطبيقية.

إذاً فسلبية التلاوة كما تحلّق على كل كتاب قبل القرآن، كذلك تحلّق على كل ائتمام واتباع لكتاب قبله، فقد كان منفصلاً عن كل كتاب تلاوة له وخطا بيمنه «إذا» لو كان يتلوا ويخط من قبله من كتاب ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ لحجة القرآن علّه مما تلاه من كتاب فجمعه خطاً بيمينه كتاباً سماوياً كما يهرفه الخارفون أنه جمعه من كتابات السماء، أم كتاباً أرضياً، كما يتقوله آخرون ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1]، ولماذا «بيمينه» والكتابة بطبيعة الحال تكون «بيمينه»؟ علّها تعني - إضافة إلى يمين الجارحة وهي المتعودة للكتابة - تعني يمين القدرة، فلم يكن بمستطاعه أي كتب لأي كتاب سواء في سجلات القراطيس وأشباهها، أم في سجلات خاطراته المقدسة لو سمع شيئاً من كتاب، وهكذا كان محمد ﷺ منذ أن

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥.

كان فطيماً حتى أنزل عليه القرآن، لم تعرف منه أية تلاوة عن كتاب أم عن ظهر الغيب، ولا مراجعة إلى أيّ من أهل الكتاب ولا مدراسة لوحي الكتاب وسواه، ومن هنا نتلمح كصراح أنه ما كان يتّبع شرعة تقليدية من ذي قبل، حيث السلبية المطلقة لتلاوة أي كتاب من قبل تنفي كل ائتمام واتباع لأي كتاب، فاتباع كتاب الشرعة يتطلب قراءته، أو اقراءه لمن لا يقرءه، حتى يتطلع إلى فرائضه ومحاظيره، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ﴾ تستأصل أية قراءة وابتّاع، أن لم يأتمّ بأي كتاب ولا أي صاحب كتاب، فما قلد محمد ﷺ قبل القرآن أية شرعة تقليدية! إذا فما كانت شرعته - وهو أفضل المصطفين - قبل شرعته وبعده؟

حين نتأكد أنه ما كان يتلو من قبله من كتاب من ناحية، وأنه كان أعرف أهل زمانه وأعبدهم لربه قضية الاصطفاء للرسالة الأخيرة من أخرى، إذا فأمره محصور بين أمرين[١]: أنه كان يوحي إليه بنبوءة شخصية، معرفية متصلة متواصلة[٢]، وعملية منفصلة الوحي، وكما يشهد له قول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ولقد قرن الله به منذ أن كان فطيماً أفضل ملك من ملائكته يسلك به سبيل المكارم ويرشده إلى أفضل أخلاق العالم ليله ونهاره..»!

ومما يؤكد تلك السلبية الجامعة آية الشورى ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[٣].

ثم و﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ هنا تحدد تلك السلبية إلى حد نزول القرآن، حيث أصبح بعده أقرء القراء واتلى التالين للكتاب والخاطين له بيمينه خطاً في أية

(١) لاطلاع أكثر على الموضوع راجع ج ٣٠: ٣٤٧ من الفرقان وتفسير الآية ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشّورى: ٥٢].
(٢) مثل مكاتيب الرسول ﷺ للشاهرودي، وسواه.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

سجله من السجلات، فهل توجد تلاوة لكتاب بكل حواياه وزواياه مثل تلاوته القرآن لنفسه وعلى الناس كافة؟ كما وكتاباته ﷺ وتوقيعاته إلى الملوك والرؤساء والشيوخ معروفة، ومنها ما هي مسجلة في كتاب فذّ[١].

فهذه الآية تستأصل جذور الارتياب في ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، إجابة عن شطحات القيلات الجاهلة القاحلة: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾[٢] [٣]، ولقد ذكرت أمية محمد ﷺ في كتابات السماء بصيغ مختلفة كما في كتاب اشعياء ٢٨: ٩ - ١٤ عن أصله العبراني:

«إتْ مِي يُورِهْ دِعاهْ وِإتْ مِيْ يا بِيْنْ شِمُوعا غِكَمولِيْ مِحالَابْ عِتْيِمّي مِشَّادايِم» (٩): لمن ترى يعلِّم العلم ولمن يفقه في الخطاب أللمفطومين عن اللبن للمفصولين عن الثدي» (٩)... ثم يستمر في مواصفات وحي القرآن[٤].

وفي نص عبراني آخر من التوراة: «يدعُو ييسرائل إوايل حنبيا مَشُوكاعْ إيشْ هارُوحَ عَلْ رُوب عَوُنِخا وِربَاه مشَطماه»:

بنو إسرائيل يعلمون ويعرفون أن النبي الأمي المصروع صاحب روحٍ إلهامي وصاحب الوحي، وهنا يقول «ربي حييم ويطال» في كتاب

(١) المصدر.
(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٥، ٦.
(٣) نور الثقلين ٤: ١٦٤ في عيون الأخبار في باب مجلس للرضا عليه السلام مع أهل الأديان والمقالات في التوحيد قال الرضا عليه السلام في أثناء المحاورات: وكذلك أمر محمد ﷺ وما جاء به وامر كل نبي بعثه الله ومن آياته ان كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً لم يتعلم كتاباً ولم يختلف إلى معلم ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام واخبارهم حرفاً حرفاً واخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة.
(٤) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» ١٠٨ - ١٠٩.

«عصحييم» أن القصد من النبي الأمّي هنا إنما هو محمد بن عبد الله الذي بعث في عهد عبد الله بن سلام.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾:

﴿بَلْ﴾ هنا إضراب عن كل قيلة عليلة حول القرآن ﴿هُوَ﴾ القرآن ﴿ءَايَـٰتٌۢ﴾ تدلنا بنفسها على أنها إلهيات ﴿بَيِّنَـٰتٌ﴾ الدلالات على ذلك: ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: ما به يميز الآية عن سواها، سواء في ذلك علم الكتاب كما لأهل الكتاب، أم علم لغة الكتاب كما لسواهم كالمشركين وسواهم، العارفين لغة الكتاب، وحتى غير العارفين حين يترجم لهم الكتاب، فالفطرة والعقلية السليمة تكفيان للإتقان أنها آيات الله، مهما اختلفت درجاته حسب درجات ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وأعلاهم هو الرسول ﷺ وأئمة أهل بيته عليهم السلام، فكما آياته لهم بينات الدلالة على إلهيتها، كذلك هي بينات الدلالة على مداليلها فإنهم هم الراسخون في العلم في بعدي الدلالة والتدليل للقرآن العظيم ثم ﴿بَيِّنَـٰتٌ﴾ تحلّق على كل بينة في كافة الحقول المعرفية، بينات الدلالة وبينات التدليل لأعلى القمم العالية الكافية لمن يتحرى عن هدى.

فلا يختص ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالرعيل الأعلى من أهل بيت الرسالة المحمدية صلوات الله عليهم أجمعين، حيث القصد هو العلم الذي يكون ذريعة للحصول على بيّنات الكتاب وهو درجات بين العبارة والإشارة واللطائف والحقايق، فقد تكفي العبارة وهي المعاني المطابقية الترجمانية الساذجة، دليلاً على بينات آياته.

و﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ يعم العلم الفطري والعقلي المؤتيان لكل مكلّف، والعلم التعقلي المؤتى لمن يطلبه بتفكير أو دراسة، وعلم الإلهام ثم علم الوحي

المؤتيان لآلهلين لهما على درجاتهم، فالعلم أياً كان طبيعته الكشف عن الحق، فبقدر العلم المستخدم لتفهّم الكتاب ﴿هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ درجات حسب الدرجات، ان استعمل العلم في صالحه كشفاً عن الحق المرام.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتُۢ . . . فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم منازل وحي القرآن، دون وسيط كالرسول ﷺ أم بوسيطه كما الأئمة المعصومون عليهم السلام، كما ﴿هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ ككل، فمهما لم تكن آياته في صدورهم، فهي ببينات في صدورهم لمّا تتلى عليهم أم يتلونها.

إذاً فـ ﴿هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ . . .﴾ - «آيات في صدور» و﴿بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ﴾ بينات الدلالة والتدليل ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ كلّه بالكتاب وهم الرعيل الأعلى[1].

ثم في صدور الحفاظ لها لفظياً ومعنوياً كالعلماء الربانيين في علوم القرآن، في الدلالة والتدليل على أقدارهم، ثم في صدور حفاظها معنوياً مهما لم يحفظوها لفظياً، في الدلالة والتدليل، على أقدارهم.

وأخيراً في صدور المستدلين بها على كونها إلهيات، مهما اختلفت صدور عن صدور، وبينات بين الأدنى والأعلى وبينهما متوسطات.

فهنا مثلث: الحفظ لفظياً، والدلالة على كل حقائقها، والتدليل بها على إلهيتها، هي الخاصة بالمعصومين عليهم السلام[2].

ثم التدليل بها - فقط - على إلهيتها، يعم كل من بامكانه التعرّف إلى

(١) حسب هذا الاحتمال فالقرآن آيات بينات في صدورهم بكل مراحله دون إبقاء آيات في صدورهم، هي بينات في صدورهم، ثم يتلوهم من هي بينات في صدورهم مهما كانت آيات - كذلك - في صدورهم كالحفاظ أم ليست في صدورهم إلا بينات، وكما الصدور درجات فالبينات أيضاً درجات.

(٢) نور الثقلين ٤: ١٦٤ - روى بأسانيد عدة عن الصادقين عليهما السلام أنهم الأئمة عليهم السلام.

حالة المعنى وهالة المعني منها، وبينهما متوسطات في أبعاد الحفظ لفظياً ومعنوياً، والدلالة والتدليل.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ أيّاً كانت: آفاقية وأنفسية، رسولياً ورسالياً وكتابياً ﴿إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أنفسهم والظالمون الحقّ الناصع، تغافلاً عن فطرهم وعقولهم وفكرهم، وتجاهلاً عن العلم الذي أوتوه من ربهم، فكل بصيرة - مهما كانت كليلة - تبصر ربوبية الوحي الرسالي في القرآن ونبيه، فما أظلمهم وأجهلهم هؤلاء الأوغاد المناكيد الجاحدين لآية القرآن وسواه من آيات الله البينات! وهنا ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ قبال ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بدلاً عن «الذين لم يؤتوه» أو «الجاهلون» للتدليل على أن الجاحدين بآيات الله ليسوا يفقدون العلم الذي به تعلم آياته البيّنات، بل هم ظلموا الذي أوتوه من العلم، تنازلاً عنه وتجاهلاً وتغافلاً عامداً أم متساهلاً، فقد ظلموا بذلك ما أوتوه من العلم فـ ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] أم لم يدّبّروا القرآن لكي يستيقنوا فيؤمنوا.

فليس الجاحد بآيات الله إلّا ظالماً، عالماً أو جاهداً، ما دام إنه مقصر في ذلك الجحود، حيث لم يستعمل العلم المؤتى له في صالحه.

ولماذا ﴿فِى صُدُورِ...﴾؟ لأنها أولى مقامات الإيمان الإتقان، حيث يغربل العلم فطرياً وعقلياً وعلمياً وحسياً إلى الصدور ومنها إلى القلوب، فما لم يصل إلى الصدور لم تحصل بينة على ضوءه، فكثير هؤلاء الذين يعلمونها دون صدورهم وليست لهم بينات!

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾:

﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هنا دون «الله - أو - رب العالمين» تعريضة عليه ساخرة،

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.

أنه لو كان ربّه فكيف أهمله إذ أرسله دون آية تدل على رسالته، فهل ضنّ به أم غفل عنه، أم هو كاذب في دعوى الرسالة؟!.

وهنا الآيات المقترحة عليه هي الملموسة المحسوسة المتعود عليها طيلة الرسالات السالفة جهلاً منهم أو تجاهلاً أن ليس على الله إلّا الآية التي تثبت الرسالة، وأما كون الآيات الرسالية على نسق واحد فلا، بل المفروض في كل رسالة أن تلائمها الآية الرسالية، فالرسالة المحدودة تكفيها الآيات الوقتية المحدودة ككل الرسالات قبل الأخيرة، والرسالة المحلّقة على كل عصر ومصر لا تكفيها الآيات المحدودة، بل الآية الخالدة التي هي أقوى من كل الآيات الرسالية مادة ومدة، مادة تجذب كل العقلاء على مراتبهم وفي كل حقولهم العقلية والعلمية، ومدة تستمر إلى آخر زمن التكليف.

فالآيات الرسالية المادية التي صاحبت اصحاب الرسالات من قبل في غضون البشرية وعنفوانات الوحي ما كانت حجة إلا زمن كل رسول حين تظهر على يديه، وهذه الرسالة الأخيرة البالغة لأعلى القمم الرسالية، من الضروري لها الحجة الحاضرة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، محلقة على كل المجالات في كل الحالات، دون أية غيبوبة لشمسها، بل ولتزدد إشراقة فوق إشراقة على غرار تقدم العقول والعلوم، متفتحة كنوزها لكافة الأجيال.

فآيتها الرسالية «القرآن» دائبة الدلالة في كل زمان ومكان، دون اختصاص بالحياة الرسولية كما في سائر الآيات الرسالية لسائر المرسلين، بل وتحيى في الحياة الرسالية كما الرسولية بل وأقوى وأندى - حيث تظهر منها حقائق ورقائق وتبهر، ما لم يكن الجيل الحضور زمن الرسول ليدركوها فإن للقرآن آيات متشابهات يفسرها الزمن.

وهؤلاء المجاهيل حين يقترحون على هذا الرسول آيات مادية وقتية

كالسالفة، قد يسخرون منه بقولتهم المتحدية ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إن كان ربه، فكيف تركه ربه وهو يدعي خاتمة الرسالة وأقواها؟! والجواب القاطع القاصع يتشكل من سلب وإيجاب، فالسلب يعني إنه لا يملك من الله آيات حتى يبرزها أو يستزلها: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾:

كل الآيات الرسالية مادية ومعنوية هي عند الله لا سواه، عند الله علماً وقدرة وحكمة لإنزالها ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[1] - فالآيات الرسالية هي من الغيب المخصوص بالله بكل أبعادها: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: رسالتي أنا محصورة في ﴿نَذِيرٌ﴾ عن بأس الله ﴿مُّبِينٌ﴾ في نذارتي دون إبهام، وأما سند الرسالة، فهو كأصلها، فليس إلّا عند الله، فكما الله هو الذي أرسلني وأوحى إلي، كذلك هو الذي ينزل علي آية الرسالة المثبتة لها، ثم الجواب الإيجابي هو آية القرآن الكافية عن كل آية:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾:

والواو هنا تعطف إلى محذوف هو بطبيعة الحال آية كما القرآن آية، وليست إلّا الرسول نفسه، ألم تكفهم أنت بما تحمل أعلى قمم التربية الرسالية ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ . . .﴾ وكما المرسلون دونه يستدلون لرسالتهم الإلهية بالتربية الرسالية اللامعة فيهم: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[2].

فقد يكفي محمد ﷺ بنفسه، بحاله وأفعاله وأقواله وإن لم يأت بالقرآن، يكفي آية بينة رسالية برسوليته، فهو هو القرآن، متجسداً في كل

(١) سورة يونس، الآية: ٢٠.
(٢) سورة يس، الآية: ١٦.